عدد خاص في الخط العربي

المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية

المجلد الخامس عشر - العدد الرابع ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

٤

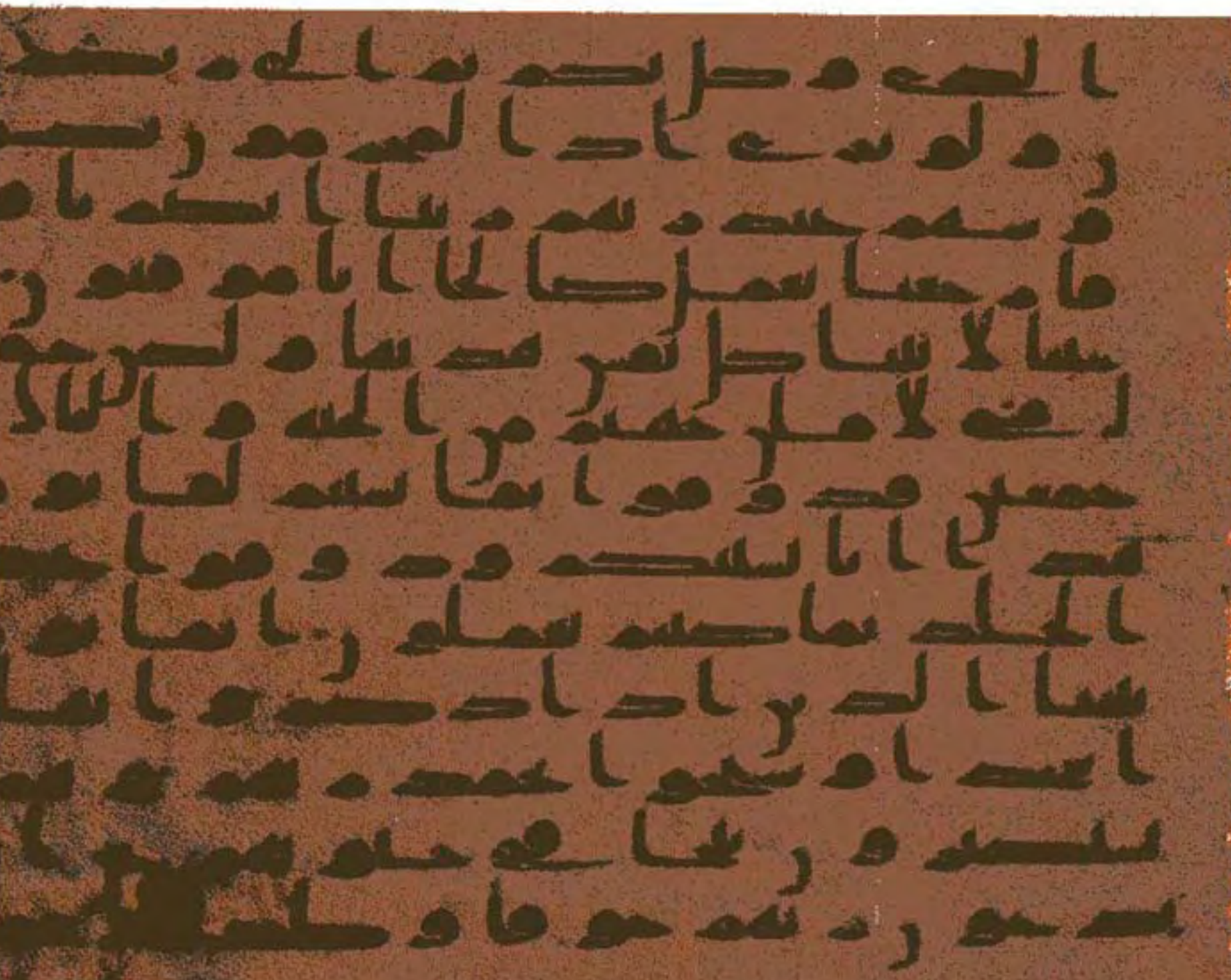

الخطّاط ياقوت المستعصمي

اعداد
محمود شكر الجبوري

هو ابو الدر جمال الدين ياقوت بن عبدالله الرومي المستعصمي الكاتب[1] . وهو احد مماليك الخليفة العباسي المستعصم بالله ، وأصله من بلادالروم من مدينة اماسي : وقد عاش في بغداد في القرن السابع الهجري ، واتسب الى الخليفةالعباسي سالف الذكر فعرف بياقوت المستعصمي ، الذي قربه اليه وشمله برعايته . وقد حذق فنالخط واتقنه ، وجوّده حتى استحق عن جدارة لقب « قبلة الكتاب »[2].

نشأ ياقوت في دار الخلافة . واعتنى بتعليمهالخط صفيالدين عبدالمؤمن . احد فقهاء المدرسة المستنصرية واشهر كتاب زمانه [3]. وكذلك كتبعلى ابن حبيب[4]. بل تعدى ذلك الى النساء حيث اخذ الخط من الشيخة المحدثة الكاتبة زينبالملقبة ابنة الأبري[5].

اولئك قلة من العلماء الذين كان لهم دوربارز في الخط العربي ، ومن بين احضانهم برز جمال الدين ياقوت المستعصمي ، وفيه قال صاحبكتاب مفتاح السعادة (هو الذي طيف الارض شرقاً وغرباً وسار ذكره مسير الامطار في الامصارواذعن لصنعته الكل واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته فضلاً عن الوصول اليها لانه سحر في الكتابةسحراً)[6].

لقد عشق ياقوت فنون الخط العربي منذصباه ، حتى برع فيها ، واظهر من المهارة ماجعله في مصاف عظماء الخطاطين . وبقي ياقوت يتملىخطوط الائمة المجودين ممن سبقوه في هذا المضمار ، حتى بلغ الغاية في حسن الخط والابداعفي تراكيبه فلقب بـ (قبلة الكتاب)[7] .

وتصدر لتعليم فنون الخط ، وبلغت شهرتهاالآفاق ، وقصده الناس ، وبالغوا في اقتناء خطوطه[٨] .

وقد اخذ الخط عنه ابناء الاكابر في بغداد .

الخط المنسوب :

بلغ الكتاب المجودون ــ في عصر المأمون ــبالخط العربي بعض مراتب اتقانه ، وكتبوه وفق الرسوم والقوانين التي وضعت له ، ووصفواالخطوط المتقنة يؤمئذ بـ (الخطوط الاصلية الموزونة) ويعتبر الوزير ابن مقله المهندس الاولللخط المنسوب فقد اوجد طريقة للكتابة قررت للخط معايير يضبط بها ، وهو الذي رأى فيتجويده وتصحيحه ان يجري على نسبة فاضلة (ان زاد قبح وان قصر دونها سمج) ، وكان ذلك فيالعراق على رأس الثلثمائة (٣٠٠ هـ) وقد سمي الخط الذي لا يلتزم في الامور الجسيمة (دارجاً)او (مطلقاً) ، ويستعمل الاول في الامور الجسيمة التي يقصد بها التخليد والبقاء على الاعقاب ،وكانت تكتب به مراسلات الملوك وتخط به المصاحف . والثاني تؤدى به الاغراض اليوميةالعاجلة . وسمي بالمنسوب لتناسب الخط في اشكاله الهندسية المتقنة المجودة .

ونسب ابن مقلة جميع الحروف الى الالفالتي اتخذها مقياساً اساساً واليه نسب (الخط المنسوب) بمعنى الخط الذي تنتسب حروفه الىبعض بنسبة هندسية .. وعلى هذا الاساس ، وضع ابن مقله قانونه الذي يضبط أصول الخط .

وبعد فترة من الزمنظهر الخطاط ابو الحسنعلي بن هلال المعروف بابن البواب . وهذا الخطاط اكمل قواعد الخط وأتمها ، واخترع غالب الاقلامالتي اسسها ابن مقله . وظل الخط يجود ويحسن حتى ظهر ياقوت المستعصمي فبلغ الغاية في حسنالخط وحسن تنسيقه فلقب بـ (قبلة الخطاطين) .

ذكر ابن العماد الحنبلي : ان ياقوت « آخرمن انتهت اليه رياسة الخط المنسوب » . وبفضل هؤلاء الرواد انتشر الخط في مشارق الارضومغاربها . وكانت تلك العناية بالخط وبقواعده الاساس المتين لهذا الفن الرفيع .

عمله في المدرسة المستنصرية :

التحق ياقوت المستعصمي بالمدرسة المستنصرية : حيث كانت في تلك الفترة قد ملات الدنيا علماً وادباً وفيها من الكتب ما يفوق حد الكثرة .وكما كان الخطاط البغدادي ابن البواب ، يشرف على دار الكتب في شيراز ، ويتصرف فيها ، وافادمنها في تنمية مواهبه الادبية والعلمية ، فكذلك

كان ياقوت المستعصمي خازناً بدار الكتب في المدرسة المستنصرية بأشراف المؤرخ الكبير ابن الفوطي[٩].

وقد افاد ياقوت من دار الكتب كثيرا ، وكان يجتمع بالأدباء والعلماء والشعراء والوزراء ، فعرفوا فضله ، وقدّروا فنه ، ونال رعايتهم وتشجيعهم .

حتى بلغ القمة وتربع على عرش الخط العربي ، وصار مضرب المثل في حسن الخط . حتى كان الناس اذا استحسنوا خطاً قالوا : خط ياقوتي[١٠] .

ياقوت المستعصمي ومدرسة بغداد الخطية :

برع ياقوت المستعصمي في تجويد الخط كثيرا وهذب اوضاع الحروف ، وحور في انكباب واستلقاء بعضها ؛ وصارت مدرسة بغداد الخطية هي السائدة في العالم الاسلامي بفضل جهوده . حيث سعى الخطاطون في الآفاق يقلدون خطوطه ويشقون على قاعدته التي لا تزال الى يومنا هذا تمتاز بخصائصها عن المدرسة العثمانية التي اعقبتها .

واستمر الخطاطون على قاعدته في كتاباتهم حتى ظهر الحافظ عثمان بن علي التركي . فبرّز ياقوت في كتابة النسخ واشتهر المصحف باسمه (مصحف حافظ عثمان)[١١].

لقد اتخذ العثمانيون ياقوت المستعصمي إماماً لهم في مجال الخط العربي ، واتقنوا تقليد الاقلام الستة التي كانت شائعة في العراق وهي خط النسخ او الخط الحجازي اللين والخط المحقق والثلث وخط الرقاع والريحاني والرقعة .

وتجاوز الخطاط العثماني مرحلة التقليد الى مرحلة التحسين ، وتجاوز مرحلة التحسين الى مرحلة أعلى واسمى هي مرحلة الابتكار[١٢] . ويتجلى تحسين العثمانيين للخط العربي في ذلك النوع المعروف بالخط الجلي الذي ابتكره ياقوت المستعصمي يعده الخطاطون العثمانيون بالتحسين، وهو يمتاز بكبر حجمه ، وباستعماله عادة في الكتابة على الجدران في العمائر ، كما انهم ابدعوا منه لوحات كبيرة كتبوا عليها اسم الجلالة واسماء النبي والصحابة ، وابدعوا كذلك لوحات صغيرة كتبوا فيها بخط جميل آيات من القرآن الكريم ،او اقوالاً مأثورة عن النبي (ص) ، او حكماً فلسفية نثرية او شعرية .

وفاته :

لقد أجمع المؤرخون بأن وفاة ياقوت المستعصمي كانت سنة ٦٩٨هـ للهجرة[١٣].

وقد توفي في بغداد ، ولم يذكر المؤرخون موضع قبره في اي منطقة [١٤].

اشهر الكتب والمؤلفات التي خطت بيد ياقوت المستعصمي :

١ ــ درر الحكم لابي منصور عبدالملك بن محمدبن محمد الثعالبي المتــوفي سنة ٤٢٩هـ ، وهــي موجودة في دار الكتب المصرية .

٢ ــ طيف الخيال ومنه نسخة في خزانة السلطاناحمد الثالث كتبها ياقوت المستعصمي سنة ٦٧٤هـ

٣ ــ نسخة ديوان قطبة بن اوس وهي مخطوطةفي برلين ورقة ٢٦٩٤ .

٤ ــ اسبوعبات ليس عليها اسم المصنف كتبت سنة٦٨٩هـ .

٥ ــ قرآن (جزء ١٢) مع ترجمة فارسية قديمةكتبت سنة ٦٤٨هـ بيد ياقوت المستعصمي .

٦ ــ اعمال جميلة للخطاط ياقوت المستعصمي فيمتحف دار الكتب المصرية بالقاهرة وكذلك امثلة متعددة من خطه في نفس المتحف .

وترك الخطاط ياقــوت المستعصمي اعمالاًجليلة ومصاحف غاية في الروعة والبهاء .

الهوامش

١ ــ كشف الظنون ج١/٧١١

٢ ــ الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ص ١٧٣

الفنون الزخرفية الاسلامية فيالعصر العثماني ص ١٧٥

٣ ــ تاريخ علماء المستنصرية ج٢/٨٠

٤ ــ عقود الجمان ص ٣١٤

٥ ــ صبح الاعشى ج٣/١٤

٦ ــ مفتاح السعادة ج١/٨٤

٧ ــ العراق مهد الفن الاسلامي ص٤٤

تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١٢٣

٨ ــ تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١٢٤

٩ ــ تاريخ علماء المستنصرية ج٢/٨٣ ــ ١٣٦

١٠ــ تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص ١٢٧

١١ــ المصدر نفسه ص ١٢٨

١٢ــ الفنون الزخرفية في العصر العثماني ص١٧٦

١٣ــ الحوادث الجامعة / ابن الفوطي ص٥٠٠

١٤ــ تاريخ العراق بين احتلالين ص٣١٥

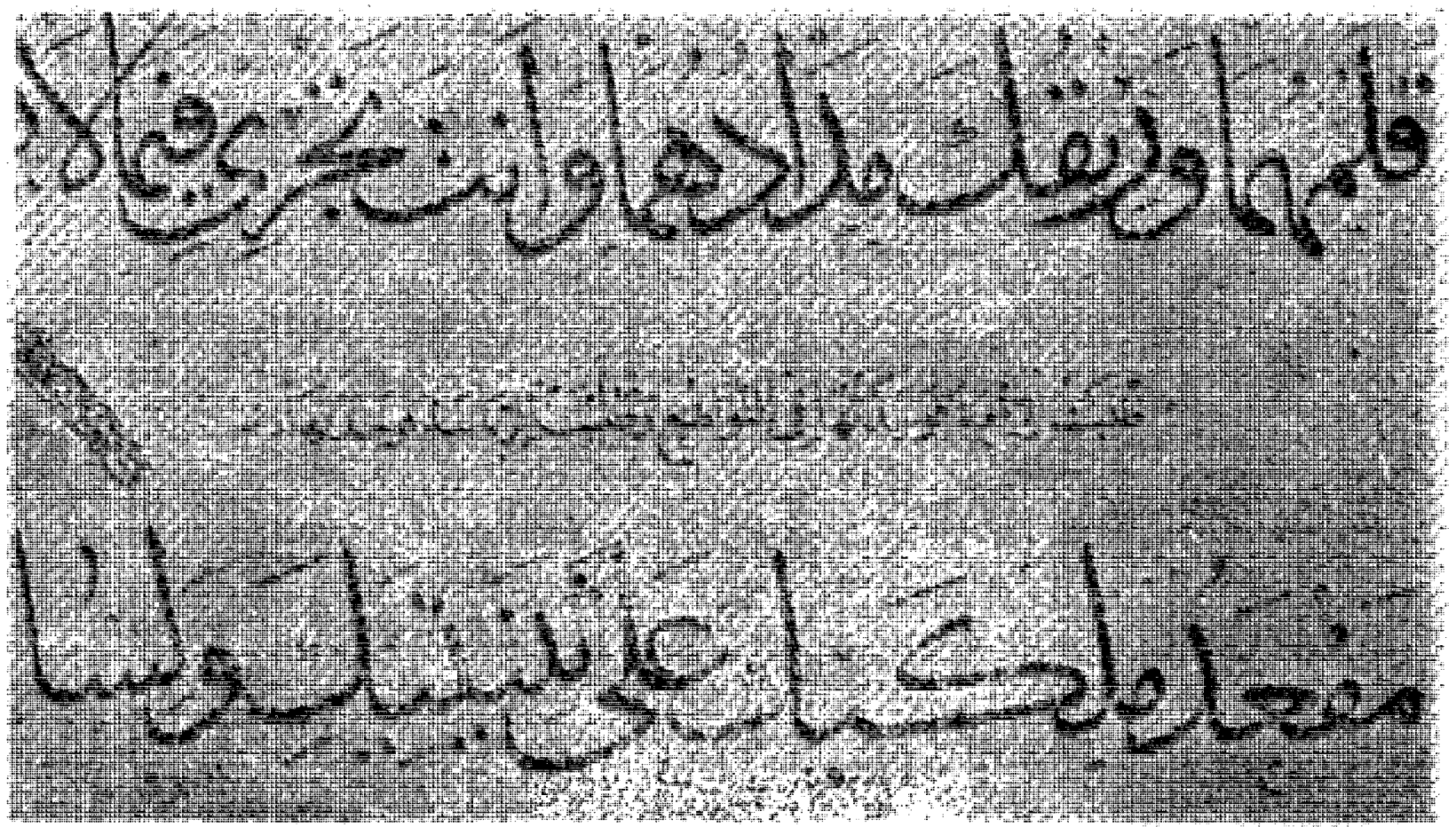

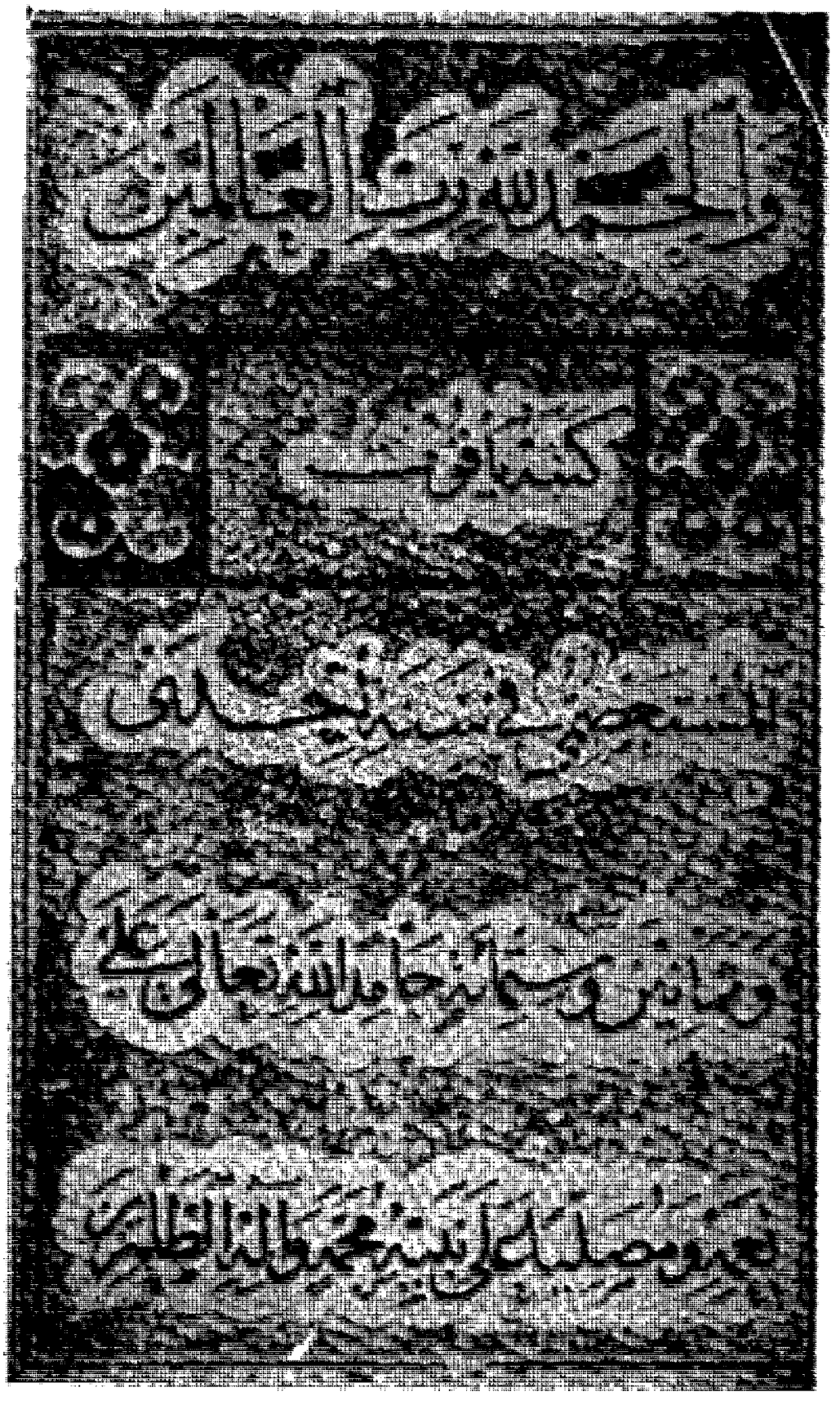
والحمد لله رب العالمين